Coptology

Ϩⲁⲛⲱϣ ⲛ̀ⲣⲉⲙⲛ̀ⲭⲏⲙⲓ

مصريات ـ ١

الفرق بين الاختلاف في الرأي والرؤيا

عقائدياً وسياسياً

دكتور

جورج حبيب بباوي

مارس ٢٠١٣

www.coptology.org

الفرق بين الاختلاف في الرأي والرؤيا عقائدياً والاختلاف في الرأي والرؤيا سياسياً

صديقنا المجتهد يسري صموئيل، سبقه صديقٌ مجتهدٌ آخر هو سوستانيس الذي لم أعد أقرأ له ما يجود به علينا من كتابات ولمحات إلهية — إنسانية رصينة، كلاهما معاً طلبا فتح ملف خاص بـ "المصريات"، وهو موضوعٌ – حسب العنوان السائد في صحافة الأقباط – يُحسب من "الأمور المسكوت عنها"، وحق الملكية الفكرية لهذه التسمية على ما أظن هو لجريدة وطني.

عقائدياً، اختلاف الرأي حقٌ إلهيٌ تعطيه المعمودية والميرون والإفخارستيا، وهي أسرار الانضمام إلى الكنيسة، مع ملاحظة أن هذه الأسرار لم تُحسب حساباً عددياً في زمن الآباء العظام، بل حُسِبَت "سرائرياً" للتمييز بينها، ولتقدير العطية الخاصة التي تُعطى لكي عضو ينضم إلى "جسد المسيح الواحد الكنيسة" (١ كو ١٢: ١١ – ١٣).

فمن تعدد الخطية وانقسامات الشر، نأتي إلى المسيح يسوع رب الحياة؛ لكي يكون هناك تعدد أعضاء، أي تمايز يحفظ الوحدانية التي أتى إليها، وهي يسوع الواحد. والعضو الواحد إذا تمايز برأيٍ، أو رؤيا، فهي تُعد بمثابة إشراق إلهي يحفظه في خصوصيته التي تهددها الخطية من الداخل، أو انقسامات الجماعة التي تجعلها تسقط في إنكار الهوية الكنسية التي أعطتها لها بسبب الانضمام إلى المسيح. هذه الهوية هي "العضوية في جسد الرب يسوع الواحد"، وهي العضوية التي لا تقبل إلَّا التعدد، طالما هو "خدمة المحبة وخدمة شركة الأخوة"؛ لأن الطلب الواحد للشعب – الذي نطلبه في القداس الغريغوري بالذات – هو "أساس الكنيسة".

الخلاف السياسي في الرأي يؤخذ دائماً على أنه تهديدٌ لقيادة الزعيم، أو خروجٌ على الخط العام للحزب؛ لأن الأحزاب تنشأ أصلاً للمعارضة. وفصل المعارض في أحزاب

تتمسك بالديموقراطية الغربية مثل حزب العمال أو المحافظين في بريطانيا، هو ما أعرفه لأنني عشت هناك قرابة ٤٠ سنة، وكنت أعرف ما يدور سياسياً، لا سيما ما يتصل بمصر، وقرار استقالة أنتوني ناتنج من وزارة إيدين ١٩٥٦ وزارة العدوان الثلاثي، انتهت بالخروج من الحزب نفسه.

لكن الكنيسة لا تعرف المعارضة لأسباب إلهية ثابتة وهي:

١– الكنيسة لها حياة واحدة، هي حياة يسوع المسيح نفسه التي وُهِبَت من الآب في يسوع الإله المتجسد بالروح القدس، "الفاعل" والواهب كل العطايا. وحسب تشبيه الرسول، فإن أعضاء الجسد الواحد في الجسد الإنساني لا يمكن أن تعارض بعضها، فلا تُعارض الأذن اليدين أو العينين. وحتى قول الرب يسوع: "لا تجعل شمالك تعرف ما تفعل يمينك لكي تكون صدقتك في الخفاء" (متى ٦: ٣ – ٤) لا يعني أن هناك تعارضاً بين اليدين؛ لأن هذا القول هو قولٌ يعرفه كل مَن درس أسلوب التخاطب الآرامي القديم، حيث يكون العطاء دائماً باليد اليمنى، خصوصاً في التوزيع بالذات: الأموال – الطعام ... الخ. فاليد التي توزِّع تعرف سبب التوزيع، وهو احتياج الآخر، ولكن اليد التي لا توزِّع، وهي اليد الشمال، فقد كانت عند عامة الناس – لا سيما الفريسيين – تقوم بغسل الأعضاء الخاصة، وهي تعتبر – حسب المشنا – يدٌ غير طاهرة، وهي بذلك تعبِّر عن سيادة الناموس علينا. طبعاً، القولُ غامضٌ لمن لم يدرس الخلفية الآرامية السائدة في فلسطين في زمان تجسد الرب يسوع.

٢– الاختلاف السياسي حتى حول حل أو حلول، هو أحياناً خلاف حول مصالح اقتصادية يدافع عنها بعض أعضاء الحزب ضد أعضاء نفس الحزب أو ضد الحزب المعارض حتى لو كان رأي حزب المعارضة صحيحاً. لكن ذلك غريب تماماً على الحياة الكنسية.

أقول لكل من يُسري وسوستانيس إن هذا المقال هو بداية حديث عن "مصريات" تمسَّك فيها عددٌ من القيادات القبطية بروح الأحزاب وتركوا ما تقدِّمه الحياة الكنسية، وهو "الجسد الواحد والروح الواحد والهدف الواحد والرب الواحد والإيمان الواحد والمعمودية الواحدة"، وأرجو أن يلاحظ القارئ العزيز لهفة رسول الرب وهو يكتب

إلى كنيسة أسَّسها هو تُحارَب من الداخل لا من الخارج فقط:

"أطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التي دُعيتم إليها بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة".

ثم هي صرخةُ أبٍ:

"مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح (عطية الروح القدس) برباط السلام (الصليب لأن الرب صنع السلام والصلح بدم صليبه)" (كولو ١: ٢٠).

"جسد واحد"، هو الكنيسة (١كو ١٢: ١٢).

"روحٌ واحد"، هو الروح القدس موزِّع العطايا (١كو ١٢: ١٣ – ١٤).

"كما دعيتم في رجاء دعوتكم الواحد يسوع.

"بربٍّ واحد" .. رأس الجسد ..

"إيمان واحد" .. يوحد الكل في اعتراف واحد ..

"معمودية واحدة"، جعلت الكل أبناء بالتبني (غلا ٣: ٢٦ – ٢٩).

"إلهٌ وآبٌ واحد للكل الذي على الكل وبالكل (بالابن) وفي كلكم (بالروح القدس حسب شرح القديس ايريناوس) (أفسس ٤: ١ – ٦).

وكل قبطي حقيقي يمارس الصلاة يعرف أن هذا المقطع من رسالة أفسس هو "بولس" صلاة باكر، وهو يسبق صلاة باكر حسب ترتيب الأديرة الباخومية، وهو ترتيب كنيسة الإسكندرية. هذا هو دستور الكنيسة، ليس فيه "توافق"، بل وحدة. وليس فيه تنازل، بل بذل، وفيه الشركة والاجتهاد ورباط السلام وقبول عمل الروح الواحد، ولذلك يختم رسول يسوع رب المجد هنا بقوله: "ولكن لكل واحد منا أُعطيت النعمة حسب قياس هبة المسيح" (أفسس ٤: ٧). ولأن ما يُعطى يُوهب، فقد أُقيم إمبروسيوس – وكان موعوظاً – أسقفاً فور اختياره قبل أن يكمل مدة التعليم (ثلاث سنوات). وفي العظة ١١ على رسالة أفسس يذكِّر ذهبي الفم الكنيسة بأن توزيع هبات المسيح ليست حسب قياس إيمان من ينال الموهبة حتى لا يسقط من نال الموهبة في الانتفاخ ويحتقر الذين لم ينالوا موهبةً مثله أو عطايا أعظم تجلب الصراعات، بل حسب قياس موهبة المسيح؛ لأن قوة هذا التعبير الرئيسي هي في شركة الكل في: المعمودية، الخلاص بالإيمان .. ".

وماذا تعني كلمة "قياس"؟ هي لا تعني حسب جدارة (استحقاق)؛ لأنه لو كان الأمر بالاستحقاق، لَمَا نال أحدٌ شيئاً، ولكن من عطيته (المسيح) نحن نأخذ".

هذا لا يمكن تطبيقه على أي نظام سياسي؛ لأن الزعيم والبرنامج السياسي هو على الكل (فوق الكل وبالكل، — وهي العبارات الخاصة بالثالوث في أفسس ١: ٧)، هي واقع إدارة الصراعات السياسية.

كيف يصاغ فكرٌ سياسيٌ في قالب ديني، وما هي الأهداف المبتغاة من الصياغة الإعلامية السياسية الفجة التي تُحشد في قوالب فكرية غامضة غير واضحة المعالم؟

جاد علينا الأخ يسري صموئيل عازر بمقال للأستاذ ماجد غطاس نشره على صفحته على موقع التواصل الاجتماعي *facebook* يأخذ فيه بمنهج الإعلام السياسي.

قد يبدأ الإعلام السياسي بمديحٍ في سطر أو عبارة، ثم ينتقل إلى ما يعتبره هو القضية الكبرى، وقد نقل الأخ ماجد سطوراً وترك سطوراً تشغل عدة صفحات كاملة من ردنا على د. حنين عبد المسيح، الذي نُشِر على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية بعنوان: خلافاً لتقوى العصر الوسيط: الصليب هو قوة الحياة التي أخذناها في المعمودية ومسحة الميرون. وهنا ننقل ما قاله الكاتب الأستاذ ماجد غطاس:

Maged Ghattas
March 1

جورج حبيب بباوى وحركه التجديد النابعه من اصاله الفكر الرسولى والابائى

قد اختلف مع استاذى الدكتور جورج حبيب بباوى وهذا لايسقط حقه فى انه استاى الذى تتلمذت له .فى معرض كتابه منظومه العصر الوسيط قال فى صفحه 9 عن خلاصه شرح الطقوس فى العصر الوسيط يقول (الخلط بين الرمز والعلامه من ناحيه .وفقدان العلامقه بين الحقيقه والعلامه من ناحيه اخرى . فليس لدينا فى الكنيسه الارثوذكسيه رموزا خاصه بالماضى بل لدينا واقع واحد ربط السماء بالارض ووحدهما معا تحت راس واحد هو يسوع المسيح طاف1 :10 ") الى هنا كلام رائع لاننا بالتاكيد انما نرمز لشىء لعدم وجوده كغائب او بكونه بعيدا ولكن حين اراد الدفاع عن المذبح والشموع والايقونات والبخور قال (مالدينا ليس رموز ولكن علامات تدل على وجود سمائى الهى دخل دنيا البشر بتجسد الكلمه ابن الله "يو1 :14 " لدينا حضور وحلول لاينقطع تشير اليه علامات متعدده هى السابقه الذكر)بمعنى ان المذبح هو علامه حضور وحلول حقيقى للرب المتجسد وليس رمز وهذا اقوى دفاع عن الشموع والبخور والمذبح وهو دفاع مصيبه اكثر ضررا من لو قلت انه رمزا . لان الرمز وان كان غير مقبول ايضا لانه تغييب لله وهو المرموز اليه ولكن ان اعتبر الحجر والشمع والبخور علامه حضور فهذه هى المصيبه بعينها فالعلامه الوحيده لحضور الرب هو استعلان الله فى الخليقه بممارسه المحبه والتجديد عن الشكل بتغيير الذهن والضمير وبالتالى نرى ممارسه فعليهبين اعضاء الجسد الواحد للصوره الالهيه التى طبعت فينا بفعل التجسد وحلول الروح القدس .اما ان اعتبر الشمعه والمذبح علامه حضور اكثر انحرافا لو اعتبرتها رمزا .لانه وان كان الله حاضر فى كل مكان .ولكن الغرض الاساسى من التجسد هو الانسان وان الله لايسكن فى هياكل مصنوعه بيد

Share 1

2 people like this.

"قد أختلف مع أستاذي الدكتور جورج حبيب بباوي، وهذا لا يسقط حقه في أنه أستاذي الذي تتلمذت له. في معرض كتابه منظومة العصر الوسيط قال في صفحة ٩ عن خلاصة شرح الطقوس في العصر الوسيط يقول (الخلط بين الرمز والعلامة من ناحية وفقدان العلاقة بين الحقيقة والعلامة من ناحية أخرى. فليس لدينا في الكنيسة الأرثوذكسية رموزاً خاصة بالماضي بل لدينا واقع واحد ربط السماء بالأرض ووحدهما معاً تحت رأس واحد هو يسوع المسيح" أف ١: ١٠) إلى هنا كلام رائع لأننا بالتأكيد، إنما نرمز لشيء لعدم وجوده كغائب أو بكونه بعيداً، لكن حين أراد الدفاع عن المذبح والشموع والأيقونات والبخور قال (ما لدينا ليس رموز ولكن علامات تدل على وجود سمائي إلهي دخل دنيا البشر بتجسد الكلمة ابن الله (يو ١: ١٤). لدينا حضور وحلول لا ينقطع تشير إليه علامات متعددة هي السابقة الذكر) بمعنى أن المذبح هو علامة حضور وحلول حقيقي للرب المتجسد وليس رمز وهذا أقوى دفاع عن الشموع والبخور والمذبح، وهو دفاع مصيبة أكثر ضرراً من لو قلت أنه رمزاً. لأن الرمز وإن كان غير مقبول أيضاً لأنه تغييب لله وهو المرموز إليه ولكن أن أعتبر الحجر والشمع والبخور علامة حضور، فهذه هي المصيبة بعينها. فالعلامة الوحيدة لحضور الرب هو استعلان الله في الخليقة بممارسة المحبة والتجديد عن الشكل بتغيير الذهن والضمير، وبالتالي نرى ممارسة فعلية بين أعضاء الجسد الواحد للصورة الإلهية التي طبعت فينا بفعل التجسد وحلول الروح القدس. أما أن أعتبر والشمعة والمذبح علامة حضور أكثر، انحرافاً لو اعتبرتها رمزاً. لأنه وإن كان الله حاضر في كل مكان ولكن الغرض الأساسي من التجسد هو الإنسان وأن الله لا يسكن في هياكل مصنوعة بيد.

ويكتب الأخ يسري رداً:

Yousry Samwel Azer ... استاذ ماجد سلام
اولا هذا ليس تعليم الدكتور جورج بل الايمان الاورثوذكسي الثابت والمسلم من جيل الي جيل .
-اذا رفضنا المسيح ان يكون المذبح الحقيقي سنرفض بالتبعيه ان يكون القربان هو الجسد الحقيقي ..
-اذا رفضنا حضور الله في الماده وتجليها فنحن نرفض حلول الله في الانسان بالتبعيه ...وصار لباسه ابيض كالنور .....
وتغل علي الارض وصنع طينا وطلي عيني الاعمي ....
-ولكي لا نرتئي فوق ما ينبغي ان يرتئي ....
يعلم البابا كيرلس المتنيح بان القداس هو دخولنا من الزمني الي اللازمني فيصير الذي علي المذبح هو جسد المسيح المصلوب والقائم ويصير المذبح الذي يحمل هذا الجسد هو المذبح الالهي الموجود في السماء لانه كيف يقدم الحجر رب البريه كلها ....سلامي لشخصكم المحبوب .
March 1 at 12:50pm · Like

أولاً هذا ليس تعليم الدكتور جورج، بل الإيمان الأرثوذكسي الثابت والمسلم من جيل إلى جيل .. إذا رفضنا المسيح أن يكون المذبح الحقيقي سنرفض بالتبعية أن يكون القربان هو الجسد الحقيقي .. إذا رفضنا حضور الله في المادة وتجليها فنحن نرفض حلول الله في الإنسان بالتبعية .. وصار لباسه أبيض كالنور .. وتغل على الأرض وصنع طيناً وطلى عيني الأعمى .. ولكي لا نرتأي فوق ما ينبغي أن نرتأي .. يعلم البابا كيرلس المتنيح بأن القداس هو دخولنا من الزمني إلى اللازمني فيصير الذي على المذبح هو جسد المسيح المصلوب والقائم ويصير المذبح الذي يحمل هذا الجسد هو المذبح الإلهي الموجود في السماء لأنه كيف يقدم الحجر رب البرية كلها .. سلامي لشخصكم المحبوب.

والأخ ماجد مثل صديق لم أتقابل معه، وهو الأخ ميناس الذي لم يعجبه مقال قصير نُشِر على موقع الدراسات القبطية واللاهوتية نعرض فيه لما جاء في مقالة للأرشمندريت جريجوريوس – نُشرت باللغة الانجليزية على موقع الدراسات القبطية تعقيباً

على محاضرة صوتية لنا بعنوان مجمع خلقيدونية ٤٥١م. وفي مقالنا لم أكن أرد على مقال الأرشمندريت جريجوريوس، بل عرضت في إيجاز شديد للجوانب التاريخية والتمسك بالماضي، وخبرة الحوار المعاصر، ومراجع كاثوليكية وغيرها تسير في نفس الاتجاه. ولست أدري سر غيظ الأخ ميناس، وإن كان أكثر من صديق قد همس لي بأن دفاعي عن الكنيسة القبطية سوف يجلب عليَّ عداء الكثير من الناس. فحتى ميناس المصري (القبطي) يظن أن الدراسات الأكاديمية في جامعة كامبريدج كانت كفيلة بأن تجعلني أنسى أصلي التاريخي، في الوقت الذي تقول فيه أبسط معارف علم الأنثروبولوجيا إن الإنسان كائن حي تاريخي. ولكن ميناس مثل ماجد، تركا جوهر الموضوع، وصاغا اعتراضاتهما في صياغات سياسية في شكل لاهوتي، وقد بدا للأخ ميناس أن قبول مجمع ٤٥١ هو قبولٌ بحرم ديوسقوروس، ولذلك يجب أن يُرفَعُ الحرم أولاً، وهذا إجراء كنسي سبق وأن حدث مع ذهبي الفم، بل رفعت الكنيسة المشرقية السريانية الحرم عن نسطور، ولم تُصادَر كتب ثيئودوريت الذي حُرِم في المجمع الخامس. وأشار ميناس (وهو طالب دراسات عليا) بأن هذا تقسيم إلى "هم ونحن". ولكن التقسيم السياسي "هم ونحن" غير التقسيم الذي حدث في ٤٥١ لأن الاعتراف بقرارات مجمع، يجب أن يُصحِّح خطأً عقائدياً بل إدارياً ضد رجل بريء اتُّهِم بالهرطقة دون سند أو دليل، ودون أن يعطى له حق الدفاع عن نفسه كما هو معروف من محاضر جلسات المجمع ذاتها.

أعود إلى اتهام الأخ ماجد، فهو أفظع بكثير من اتهامات "زئبقية" للأخ ميناس سوف ننشر عنها رداً في مقال خاص إن سمح الرب وعشنا. ولأن الأخ ماجد لم يقرأ جيداً ما دُوِّن في ص ٤ في الرد السابق الإشارة إليه على د. حنين، نجد أنفسنا مضطرين إلى إعادة نشر أكثر من صفحة من هذا الرد، على الوجه الآتي:

> "لكن ما يهمنا أن نشير إليه بكل قوة أنه لا يمكن مع فترات السحق والقتل وتدمير العقل، وسيطرة البطش على الثقافة أن ينمو تيار ثقافي يقبل تجسد ابن الله، ولا نغالي إن قلنا إن التجسد بكل ما يُعبِّر عنه من معاني ما زال بعيداً عن الوعي الكنسي المعاصر، وإن كان القمص متى المسكين قد أفلت منه؛ لأن الله لا يترك نفسه بلا شهود، مثلما أفلت منه الأنبا بولس البوشي

الأسقف الوحيد الذي استوعب روح الآباء في العصر الوسيط.

راديكالية الإلغاء

ما الذي يُلغي الآخر؟ ونقصد بالآخر هنا الله.

ليس الإلغاء مثل النفي؛ لأنه إذا كانت عبارة "لا إله إلَّا الله" تعبر عن نفي لكل صور وأشكال الإلوهة، فهذا جيد ومطلوب، ولكن دون الانزلاق إلى الإلغاء. لأن النفي يعترف ضمنياً بما يُنفى، أمَّا الإلغاء، فهو ليس مجرد إنكار، بل تدمير وقلع لما هو موجود، ويصبح كل ما هو كائن كأن لا وجود له.

ولكن التجسد جمع معاً الآخر والأخر، الله والإنسان في شخصٍ واحد، هو ربنا يسوع المسيح. ووحَّد المسيح بين الإلوهة والإنسان في إعلان جديد، هو البذل والمحبة التي لا تعرف الحدود، بما فيها حدّ الموت نفسه. ورفع الإنسان من عابدٍ للأصنام إلى رتبة الإلوهة والتبني والخلود بمجد القيامة وسكنى الروح القدس.

ولكن تلك الدعوى ببشارة الحياة، لم تجد المجتمع الإنساني ولا حتى الثقافة التي تقبل أن يكون الإنسان مساوياً لمجد وشرف وكرامة ابن الله. فقد كانت هذه الدعوى هدماً لهرم السلطة في الإمبراطورية الرومانية، وكان دفاع القديس أثناسيوس عن قرار مجمع نيقية ٣٢٥م يؤكد هذا الصدام العنيف. وكان ما أزعج الإمبراطور قسطنطين هو "الواحد مع الآب في الجوهر Homo-ousios"؛ لأن هذا لا يجعل للسلطة المطلقة مكاناً ولا يعطي لها شرعية إلهية للحكم القائم على سلطة مطلقة، فقد أصبح كل إنسان تحت حكم الإمبراطور = (يساوي) المسيح ابن الله؛ لأن المسيح جاء ليكون "بكراً بين إخوة كثيرين"؛ بل تأمل شدة وقع كلمات الرسول: "وارثون لله ووارثون مع المسيح" (رو ٨: ١٧). وبالتالي كانت القضية المطروحة هي كيف يمكن التعامل مع الآخر الذي له رأس في جوهر اللاهوت ويحمل ذات الطبيعة الإنسانية، أي المسيح؟

ولم يكن ارتداد يوليانوس الجاحد، وهو الذي تربى وعاش في بلاط الإمبراطور قسطنطين عن دين يسوع المسيح غريباً بالمرة، فقد رأى بعينيه غروب الثقافة اليونانية – الرومانية على يدي المسيحية، ولذلك حارب المسيحيين، وأطلق عليهم اسم "الجليليين"، أي أتباع يسوع الذي من الجليل". ومنعهم من تدريس الآداب اليونانية القديمة، تلك التي كتبها هوميروس وغيره. ولو عاش يوليانوس عشر سنوات فقط لشهدت الإمبراطورية أكبر حركة ارتداد واضطهاد؛ لأن يوليانوس استوعب قصور وعجز الوسائل التي مُورست تحت حكم دقلديانوس وغيره.

.....

رأى نسل قسطنطين أن الإيمان بإله واحد متجسد وثالوث يزعزع مكانة السلطة المطلقة؛ لأن الدعوة ترفع من شأن الإنسان.

وهكذا من تفاعلات ثقافة تقدِّس السلطة المطلقة، وحضارة قامت على نشر السلام الروماني بالقوة والخضوع لسلطان روما، وفلسفة لا تقبل مطلقاً أن يسكن الله ويتحد بالإنسان وأن يفتح الباب للشركة في الحياة الإلهية، واستناداً على بعض نصوص الكتاب المقدس، نص من هنا (أمثال ٨: ٢٢)[١] ونص من هناك (يوحنا ١٧: ٣)[٢] وجدوا ما يفتح الباب لهدم دعوة الشركة في الحياة الإلهية.

ولم يأتِ عصر الأمويين – العباسيين – المماليك – العثمانيين – بثقافة إنسانية تعطي للإنسان أي قيمة. ألم يسمع أحمد عرابي تلخص الموقف كله: "أنتم عبيد إحساناتنا" من فم الخديوي سلطان وحاكم مصر المطلق؟

أمام السلطان المطلق "ثقافياً" لا مجال بالمرة لدعوى الإله المتجسد إلَّا عند الشهداء والأبطال، أما عامة الناس، فالحرص على الحياة مهما كان نوع هذه الحياة لا يفارق الإنسان ولا يقاومه المجتمع نفسه.

---

(١) "الرب قناني أول طريقه من قبل أعماله منذ القدم".
(٢) "أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته".

راديكالية إلغاء التجسد

نلتقي عبر التاريخ بكثير من المدارس الراديكالية وليدة الثقافة:

– الدوستية: أي تلك التي اعتبرت جسد وإنسانية الرب يسوع خيالاً.

– الأريوسية: التي فزعت من التنازل الإلهي وتواضع ومحبة الله للبشر، وبالرغم من أنها جعلت من يسوع نبياً، إلَّا أنها لم تمتنع عن استخدام ألقاب مثل "الرب" و"الإله" و"الله" باعتبارها ألقاباً شرفية وردت في أسفار العهد الجديد.

– الأبولينارية: التي رأت في العقل الإنساني مصدر الخيال وجموح الفكر المحرك، بل ينبوع الشر ورفضت أن يكون ليسوع المسيح عقلاً إنسانياً.

– النسطورية: التي عجزت عن أن ترى أن الجنين المولود من الأم العذراء هو الله وجاءت لتقول قبل غيرها: "الله لم يلد ولم يولد"، وتلك هي عبارة نسطور نفسه.

– الأوطاخية: وهي أكثر الكل راديكالية، فهي تلغي الناسوت كله، وهو حل الغنوصية، لا داع بالمرة للجسد، فقد ذاب مثل قطرة عسل (وليس الخل) في بحر اللاهوت.

لكن تلك المدارس كانت تصطدم بالسرائر الكنسية، بالكنيسة جسد المسيح الحي، بالقديسين الأحياء والراقدين بيسوع (١ تسالونيكي ٤: ١٤)[1].

وهنا نتساءل: لماذا أهمل الأخ ماجد هذه السطور:

ويمتد خط الفصل، المسيح في السماء لا صلة له بالأرض، ورافد هذه الفكرة غير المسيحية هو أن الأسقف أو القس ينوب عنه ويمثله، هكذا تم فصل "الرأس أي المسيح عن الجسد أي الكنيسة".

---

(١) "لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات وقام، فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه".

وإذا عجز الفصل عن ذلك، تحولت السرائر الكنسية: المعمودية، الميرون، الإفخارستيا، إلى رموزٍ لما حدث في الماضي، وأصبحت بالتالي مجرد علامات أو رموز تُنهض الذاكرة، أمَّا بقاء الشركة في حياة المسيح كلها بالروح القدس، فهو لا يحول السرائر الكنسية إلى رموز، بل استعلان المحبة الإلهية.

إن ما غاب من الوعي هو أن التجسد هو اتحاد اللاهوت بالناسوت بدون وساطة "الزمان" وبدون وساطة شريعة موسى، وبدون أي وساطة أخرى، وبالتالي فلا وجود لرموز وعلامات تدل على ما حدث، بل رموز وعلامات تدل على:

– ما هو حادث الآن، أمس واليوم وغداً.

– على ما يُعطى وهو الشركة.

تلك هي أساسات الممارسات الكنسية كلها من عقائد وطقوس (ترتيب)، فهي تعلن للإنسان ما يناله، وتؤكد بقاء ما أخذه.

ما أعظم الفرق بين أن يكون الصليب مجرد علامة تُمارَس بحركة اليد، وبين أن يكون الصليب هو ختم المعمودية والميرون، وبالتالي يكون علامةً على دخولنا إلى أعماق الشركة في محبة المسيح الفائقة. أليس تحريك اليد من الشمال إلى اليمين، هو انتقالنا من الدينونة والموت إلى الحياة الأبدية؟ أليس تحريك اليد من اليمين إلى الشمال حسب طقس (ترتيب) الروم هو سكنى الروح القدس في القلب؟ أليس هذا هو الجانب السري في الحياة الدائمة التي لا انقطاع فيها حتى بالموت البيولوجي؟ **ولكن إن تحول الصليب إلى علامة خارجية لا تنبع من قلب الإنسان، ومن قوة وعمل الروح القدس، فإن الطقس يفقد علاقته بالسرائر، ويغري السذج على الهجوم عليه.**

وماذا عن البخور؟

الصلبان من المعادن والأخشاب وغيرها، ليست في جوهرها قطع فنية

وأشياء تُقتنى. كانت قديماً توضع على أجساد الشهداء قبل استعمالها؛ لأن الشهيد هو تجسد حقيقي في اللحم والدم لصليب يسوع نفسه. وكانت قديماً توضع حول العنق بعد المعمودية وليس قبلها، لكي يحمل كل مسيحي ختم الانضمام إلى الكنيسة. وكانت قديماً – حسب رؤية معلمي الكنيسة – الإحتفال اليومي لكل مسيحي بالمصالحة مع الله ومع الكون ومع غيره من البشر. حتى في العصر الوسيط كتب أسقف بابليون الأنبا يوحنا يقول "كيف ترشم نفسك بعلامة الصليب وتبغض أخيك أو تكرهه؟".

ولكن يبدو أن هذه الرؤيا أصبحت غريبة عن الثقافة السائدة في أيامنا. وقوام هذه الرؤيا هي:

– إن الكون كله الذي يتمخض الآن في مخاض الميلاد نحو الحياة الأبدية وفداء الجسد بالقيامة (رو ٨: ٢٢)، هو الكون الذي "يشرب من نهر النعمة الإلهية من الآب بالابن في الروح القدس".

– كما أن المياه تدخل شريكاً من الكون في ميلادنا.

– وكذلك الزيت كمسحة من شجرة الزيتون مع أطياب لها رائحة لا تفسد، مؤكدة لنا أن الجسد مُسح بعدم الفساد في يسوع.

– أما البخور فقد غاب عن الوعي المعاصر أن القداسات وكل "ترتيب"، أي طقوس الكنيسة، هو وليمة العريس السمائي التي تجمع كل المفديين الذين رحلوا والذين لا زالوا على قيد الحياة. حيث يجلس الرب على رأس المائدة وعن يمينه الملكة وعن يساره المدعوين وحول المائدة الملائكة والشعب. هذا هو طقس أو ترتيب جسد المسيح الكنيسة. ويُقدم البخور لكل هؤلاء وللشعب الحاضر الشريك أو الشركاء في وليمة المسيح له المجد. الكل يُقدَّم له البخور؛ لأن الكون المادي المنظور لم يُستبعد من الفداء؛ ولأن ما هو **مادي** هو في ناسوت الرب نفسه، وقد تجلى بالنور الأزلي غير المخلوق، ولأن هذا ليس قاصراً على الرب وحده بل يجمع كل "أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يوحنا ١١: ٥٢).

فهل يُقدم البخور للصلبان والأيقونات؟

إن الدفاع من العهد القديم هو دفاع باطل مهما بدأ مغرياً للقارئ. وإنما الدفاع الأرثوذكسي الحقيقي هو أن "الكلمة صار جسداً وسكن بيننا"؛ لكي يقدس الكل: الإنسان والكون بكل ما فيه، وأن نقدم الكون بكل ما فيه لله؛ لأننا أصلاً خُلقنا آلهةً تُقدم الكون لله حسب كلمات المزمور الثامن[١]. وعندما غابت الهوسات والتسبحة السنوية من الوعي المعاصر لم ندرك أن المسيح يتجلى في الكون، فهو الذي "ينفخ في الأشجار حتى تزهر"، **وكل الخليقة تشترك في ليتورجية كونية، ولذلك صارت الصلبان والأيقونات والبخور والقداسات، وحدة واحدة إلهية – إنسانية، رأسها المسيح. وصارت المادة تلمع بالإستعلان الإلهي، ليس من تلقاء ذاتها، ولا لأننا نراها بعين الخيال البشري، وإنما لأن الحقيقة الكامنة فينا، الحقيقة الأبدية التي أخذناها في السرائر، لا تختلف عن ما هو كائن في الكون الصغير، أي كون الكنيسة الذي هو "خميرة الملكوت" المطلوب منها أن تخمر العجين كله. الصلبان مهما كان نوعها، والبخور، والمذبح، ليست أشياء منفصلة عن الحقيقة التي أخذناها والتي نعيشها. عندما هجرنا اللغة القبطية، غاب عنا أن الميرون له اسم آخر هو ذات اسم البخور ⲡⲓⲥ̀ⲑⲟⲓⲛⲟⲩϥⲓ وهو ذات اسم ذبيحة الصليب، وهو اسم من أسماء الصلاة، الكل يشترك في مجد المسيح، مجد عدم الفساد، وفي التقديم والبذل.**

---

١ "أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض حيث جعلت جلالك فوق السماوات! من أفواه الأطفال والرضع أسست حمداً بسبب أضدادك لتسكيت عدو ومنتقم. إذا أرى سماواتك عمل أصابعك القمر والنجوم التي كونتها. فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده!. وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلله. تسلطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه. الغنم والبقر جميعاً وبهائم البر ايضاً. وطيور السماء وسمك البحر السالك في سُبل المياه. أيها الرب سيدنا ما أمجد اسمك في كل الأرض".

استخدام قوالب سياسية لمحاصرة الكاتب:

"*دفاع هو مصيبة أكثر ضرراً*" وحشد المتناقضات وكلمات قمعية مثيرة: مصيبة ← أكثر ← ضرراً.

مصيبة تعيب من؟ – تضر من؟ – وما هو الضرر الأكثر؟

"*تغييب لله وهو المرموز إليه*". لم ترد هذه العبارة في كل السطور السابقة التي اقتبسناها من ردنا المشار إليه، بل هي من تأليف الأخ ماجد، وهذا حقه.

يقول أيضاً: "*ولكن ان اعتبر الحجر والشمع والبخور علامة حضور فهذه هي المصيبة بعينها*". ثم يقع في حفرة العصر الوسيط: "*فالعلامة الوحيدة لحضور الرب هو استعلان الله في الخليقة بممارسة المحبة والتجديد عن الشكل بتغيير الذهن والضمير ..*". ثم كان بمكيال لا أعرفه ولم تعرفه الكنيسة الأرثوذكسية عبر عصور الضعف الروحي فقال: "*أما ان اعتبر ان الشمعة والمذبح علامة حضور أكثر انحرافاً*" . والانحراف هي سمة من سمات الخطاب السياسي المصري المعاصر .. انحراف عن حضور الله في كل مكان ما عدا الكنائس – وحضور الله في كنائس ليس فيها شموع ولا مذابح تجده في الترتيل والصلوات والأسهار في اجتماعات صلاة .. ثم لماذا مباني الكنيسة طالما أن الله في صورة الإنسان، وهو موجود في كل مكان؟ ولماذا احترام وتقديس الكتاب المقدس، واستخدام الموسيقى والشعر والأزهار والورود والأشجار، بل ورسومات فاخرة على نوافذ الكنائس تحمل صور لوثر وكالفن وزوينجلي، وأحياناً رسوم الذين تبرعوا ببناء الكنائس؟ كانت كنيسة ***Ridely Hall*** في كامبريدج في انجلترا لديها نافذة ملونة عليها صورة العلامة أوريجينوس السكندري وبجانبه اثناسيوس. وفي كنيسة البلمند في لبنان كانت توجد أيقونة مجمع خلقيدونية ٤٥١ قبل أن تُسرق رُسِم فيها ديوسقوروس وتاج الأسقف على الأرض في موقف مهين.

أما الجدير بالذكر فهو استخدام الأخ ماجد لتعبير **العلامة الوحيدة** لحضور الرب هو استعلان الله في الخليقة بممارسة المحبة .. وهو ما يعني – عنده – أن الإنسان أصبح **علامة**، وهذا جيد، أمَّا كلمة **وحيدة** فهي خطأٌ غير مقصود منه لأن علامة ابن الإنسان هي الصليب المجيد الذي يسبق ظهور الرب الأخير (متى ٢٤: ٣٠)، وكانت أول علامة لاستعلان مجد يسوع – حسب الأصل اليوناني لإنجيل يوحنا – هي تحويل

الماء إلى خمر، فهي ليست آية، بل علامة *Semeion* ولم يستخدم إنجيل يوحنا كلمة آية مطلقاً، بل علامات (يوحنا ٢: ١١ — ٢: ١٨ — ٢: ٢٣). وما نقول عنه إنه معجزات أو آيات هو ترديدٌ لفكر العصر الوسيط؛ لأن حضور المتجسد ابن الله تدل عليه علامات كونية، هي الشفاء وطرد الشياطين، ولذلك يذكر إنجيل يوحنا (٤: ٥٤) هذه العلامة الثانية، وهي إقامة ابن خادم الملك في كفر ناحوم. وفي يوحنا ٦: ٢ تبع الجمع الكثير يسوع لأنهم أبصروا العلامات *Signs* ولذلك أطلق العالم الكاثوليكي ريمون براون الاسم الخاص على فصول ٢–٩ الفصل الخاص بعلامات محبة اللوغوس رب الخليقة — راجع الكلمة σημειον في قاموس العهد الجديد، فهي الحضور الإلهي الذي يرتب استعلان الخليقة الجديدة، لأن اللوغوس لم يكسر قانون الطبيعية أي الخليقة، بل أعلن أن الخليقة كانت قبل السقوط الآدمي تتحرك بهذا الشكل المجيد.

ولكن هذه الراديكالية الإنجيلية تحذف الكون؛ لأنه لم يكن شريكاً للإنسان في السقوط، وتنكر أن الكون مدعوٌّ إلى أن يشترك في الفداء، فما هي مصادر هذا الحذف السائد في العبادة والوعظ، بل والترتيل الذي لا يعرف إلَّا يسوع + الفرد المؤمن الذي هو **علامة** تجعل الله يغيب؟

إنها بكل يقين تقوى العصر الوسيط التي شُيِّدت على مجموعة من الثنائيات.

ثنائية الوعي الإنساني
التي ورثناها من العصر الوسيط

في عبادة لا تعرف التجسد ولا التبني ولا سكنى وعمل الروح القدس في القلب والإرادة، وإيحاءات "العلامات" في خدمة الثالوث للإنسانية في يسوع ابن الله المتجسد وسكناه فينا بالروح القدس، يغيب موضوع التمييز بين الرمز والعلامة؛ لأن الحاضر هنا هو الله الثالوث، وحضور الثالوث يُدرَك بعلامات الحضور، وهي ليست رموزاً؛ لأن الرمز هو ما حدث في الماضي، ولا ماضٍ في الحاضر الحي.

لكن ثنائية الوعي هي التي تفصل بين الحضور الحقيقي لله على المذابح، المستعلَن باستدعاء الروح القدس (الغائب عن اجتماعات الشيع)، وبين علامات الحضور: الكلمة – الصلوات – الاستنارة الداخلية التي ترى بالروح القدس، أي بالنور الإلهي. إن ما استُعلن هو ما تركه جيل معاصر لنا لأنه ورث تعليم العصر الوسيط الذي هو ثمرة الثقافة السائدة والذي لا زال يمسك برقبة الكنيسة يحاول خنقها، وهو كما وصفه أستاذنا الكبير د. وهيب عطا الله "مملوء بالأغاليط". وهي أخطاء جاءت من عدة مصادر:

أول هذه المصادر، هو الثقافة السائدة التي ترفع الله على حساب سقوط الإنسان، وتفصل بين الله والإنسان بوسيط اسمه الشريعة الموسوية، وتضع يسوع رب الشريعة تحت حكم الشريعة لكي ينال الفقهاء مكانتهم الفائقة في الحكم على مصائر الناس، وهو ما ظهر في نوال كل واحد منهم في العصر العثماني لقب "وكيل شريعة الأقباط"، وبالتالي لم يعد أي منهم "وكيل أسرار العهد الجديد" التي لا تسمح بسلطة؛ لأن الأسرار لا تعطى ولا تمارَس إلَّا من خلال النعمة وبعمل الروح القدس.

ثانياً: انعدام الرؤيا الرسولية بالتغيير الجذري الذي جاء به تجسد ابن الله في شركة

الله الثالوث في حياتنا وشركة الإنسان في حياة الثالوث، ذلك النغم الإلهي الذي تعبِّر عنه التسبحة: "**هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له**". هذه الشركة المتبادَلة، رأسها ومصدرها يسوع الذي جاء بتحول *Metamorphosis* جذري في اللغة وطريقة التعبير – جوهر ونوع الصلوات – والعلاقات الإنسانية – والإنسان والكون – والكيان الإنساني نفسه، وهو ما نعبِّر عنه بعدة كلمات لاهوتية: الإخلاء *Kenosis* التدبير *Economia* السر *Mystery* وهي موضوعات متكاملة غير منفصلة.

لم نقترب بعد من أعماق تراثنا الأرثوذكسي الخاص بالتجسد قبل وبعد ٤٥١. لا زلنا والمياه عند الركبة في انتظار استعلان رؤيا حزقيال النبي عن النهر العظيم الذي غطس فيه النبي، وعلامة فيضان ذلك النهر هو رش الماء بعد نهاية القداس الإلهي[١].

أكتب هذا من أجل الجيل الجديد السريع في الغضب، وهو ليس حلاً لأي مشكلة، والسريع في حشد الاتهامات، وهو تشبُّه بالوضع السياسي السائد منذ ثورة ١٩٥٢ التي قامت للإصلاح، ولكن بجدول قاسٍ من الاتهامات السيئة لِمَا تحقق قبل ١٩٥٢ الذي وُصِف بكلمة عامة غير دقيقة باسم "الرجعية".

ثالثاً: كان تقسيم الوجود هو: الله فوق – الأرض من تحت، ثم الهاوية شيول *Sheol*. ثلاث طبقات منفصلة لم يعرفها سفر المزامير الذي تغنَّى بالخالق الذي يزرع ويسقي ويربي ويحرس أبواب أورشليم ويقدِّم الطعام لفراخ الغربان (مزمو ١٤٧)، ويرسل الهواء البارد ويحول الماء إلى ثلج، ثم ينفخ فيه فيصير ماءً، فهو يلعب ويفرح مع الخليقة لأنه رأى أن كل حيٍّ فيها "جميل جداً" أو حسب الترجمة السائدة "حسناً". وساد بعد انتشار الأفلاطونية والأفلاطونية المحدثة أن الخطية هي انفصالٌ عن الله، وهي فكرة مصدرها التاريخي أوهام الكهف الذي وصفه أفلاطون، والذي يكون فيه الإنسان جالساً في داخل الكهف، لا يرى النور بل يرى انعكاس الكائنات وظلالها وهي تعبُر من أمام فتحة الكهف؛ لأن الإنسان سقط من عالم الحقيقة إلى عالم الجهل، وحُبِسَ في الجسد عقاباً له، فنزل إلى الأرض[٢].

---

(١) راجع دراستنا عن القداس الباسيلي، منشورة على موقع www.coptology.com.

(٢) راجع رد القديس كيرلس على تعليم أفلاطون والاتهام الموجَّه إلى العلامة أوريجينوس بالقول بوجود النفس وسقوطها

والخطأ الأساسي الذي وقع فيه تعليم العصر الوسيط هو فصل اللوغوس عن الخليقة، رغم أن التعليم الرسولي هو أن "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان"، وقد شرح رسول المسيح هذه العبارات بالذات بأن كل شيء به وله قد خلق (كولو ١: ١٥).

وأعاد نفس الشرح في (عب ١: ٣) "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته"، ولذلك بدا تعريف الخطية بأنها "انفصالٌ عن الله" تعريفاً غريباً على ما تقدمه الأسفار عن الله الذي يحفظ كل الكائنات في الوجود، والذي عُبِّرَ عنه منذ بداية العصر الوسيط بـ "ضابط الكل"؛ لأنه يمنع الخليقة من العودة إلى العدم، وشرح الخليقة كعمل إلهي متصل يقوم به الإبن له المجد: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يوحنا ٥: ١٧)، بل وجاء الرب لكي يعلِّمنا بنقاء الحكمة: "أبي يشرق شمسه على الأشرار والأبرار ويمطر على الصالحين والأشرار" (متى ٥: ٤٥)، بل ونرى في ٩٠% من أمثال الرب يسوع أن الملكوت هو على الأرض، وأن الله يعمل في كل ما هو أرضي حتى قبل المصالحة في يسوع المصلوب؛ لأن قاعدة الخلاص هي الخلق، وقاعدة الخلق هي المحبة الإلهية والصلاح الفائق الذي خصص له القديس أثناسيوس الفصول الأولى الثلاثة في الرسالة إلى الوثنيين، والفصول الأربعة الأولى في تجسد الكلمة.

إن تعريف الخطية بأنها الانفصال عن الله هو تعريفٌ تعسفي يخدم كل الهرطقات وكل مدارس الفكر التي وُلِدَت بعد ذلك، والتي تنكر أن الله خلق وحفظ كل الكائنات، وأنه لا زال يسوس ويعول العالم أو الكون، بل يصطدم هذا التعريف مع وقار وتقوى الهوسات الأربعة في التسبحة السنوية؛ حيث يقف كل قبطي مسيحي يسبِّح مع كل الكائنات من الأشجار والنباتات والزروع وكل الخليقة، الثالوث القدوس.

فلم يكن اللوغوس خالق الكون بعيداً، بل هو "الجالس مع الآب على كرسي مجده"، وهو الذي نزل من السماء لأجلنا نحن البشر حسب كلمات قانون الإيمان، إلَّا أن التنازل الإلهي للتجسد لم يُستوعَب بعد في الوعي المعاصر الشديد التمسك بثنائية العصر الوسيط، والتي لا بد من تحديدها حتى لا نبدو كمن يحاول أن يقبض على الريح

كسبب لوجودها في الجسد، وذلك في مقدمة شرح الإصحاح الأول على إنجيل يوحنا وقد جاء الرد في ٢٢ اعتراض.

بيديه إذا كان الملكوت السماوي في السماء فقط.

الثنائية ليست عددية، بل في اختلاف الطبائع مثل الروح والمادة – الزمان والأبد – الله والإنسان – الجسد والروح (وهي ثنائية تعود أصلاً إلى الإيمان بأن الجسد مادة محضة)، وحتى في العصر الحديث عندما جاء تيار دي شاردان اليسوعي والعالم الانثربولوجي بمقولة إن المادة هي إحدى مظاهر الروح، مُنِعَ من التدريس، ومُنِعَت كتبه من النشر والقراءة في داخل جدران الكنيسة الكاثوليكية. وفي ذات السياق حاول الأنبا شنودة الثالث إصدار قرار حرمان بمنع وتحريم كتاب القمص متى المسكين عن "الإفخارستيا" بسبب فقرة ذكر فيها الراهب القبطي إن الشكر في معجزة إشباع الآلاف كشف عن سر تقبُّل المادة مواهب الله، وعن دعوة المادة إلى الشركة في أسرار الملكوت. وخُفِّفَ المعنى هذه الفقرة نتيجة الاعتراض، وضاعت الفرصة، وأذكر أنني عشت أياماً لا أستطيع النوم أو الأكل أو حتى الخروج من المنزل بسبب الكآبة؛ لأن عملاً عظيماً تاريخياً ولاهوتياً كان سيُدمَّر بسبب فقرة عَجَزَ قارئها عن استيعاب أن الجسد أو الناسوت الذي أخذه الرب يسوع هو جسد الإنسان الأول آدم من تراب الأرض، والذي تحول فيه إلى آدم الثاني في مراحل الولادة والمعمودية وتجارب البرية والصلب والقيامة والصعود لكي "يكمُل" تكوينه ويصبح آدم الثاني السمائي الذي في كل هذه المراحل التدبيرية التي جاء بها الإخلاء (فيلبي ٢: ٦)، كان جسده، أو بالدقة الشديدة، كانت إنسانيته تتأقنم صاعدةً نحو غاية الاتحاد الأقنومي، وهي خلق الإنسان الجديد في داخل كيان جديد هو أقنوم الله الكلمة؛ لكي يصبح هذا الخلق جديداً أبدياً مُصاناً بالاتحاد غير خاضع للفساد، وبذلك يصبح الإنسان مدعوًّاً في يسوع إلى أن يكون مثل يسوع في مجد إنسانيته.

ثنائية الله والإنسان: إذا بدأنا من عصر التنوير بأن الإنسان هو مركز الكون وليس الله، وصلنا إلى نقطتين: **الأولى** هي ضرورة استبعاد الله، و**الثانية** هي أن الله هو صورة الإنسان وليس الإنسان هو صورة الله، وهي العبارة المشهورة التي لصقت بالفيلسوف الألماني فيورباخ، ولكنها صارت بعد ذلك التعبير عن قطع كل علاقة ممكنة بين ما هو إلهي وما هو إنساني والاكتفاء بإلغاء الإنسان، طالما أن الإنسان هو مجرد

إنسان ينتمي إلى الطبيعة بفعل النشوء والارتقاء[١] وهي نظرية لم تعد مقبولة بالمرة، وكان ولا زال إيماني بأن اصل الحياة الواحد هو اللوغوس *Logos Spermatikos* (وهي فكرة تبناها أوريجينوس من أفلاطون وأفلوطين ودافع عنها مكسيموس المعترف (ق ٥)، وهي بمثابة القانون العقلي أو *Logic* الموضوع في كل كائن من الذرة *Atom* إلى الأشجار والإنسان والنجوم، وهو الذي يحدد لها مسار تاريخها وغايتها وعملها. ويجب أن نلاحظ أن القديس أثناسيوس في شرحه الموسَّع لم يكرر ما قاله أوريجينوس، لأن كتاب الرسالة إلى الوثنيين، وتجسد الكلمة هو رد على كتاب المبادئ للعلامة أوريجينوس، وبالذات التعليم بالخلق من العدم وعناية اللوغوس بكل الكائنات المادية وحفظها لكي تنال التجديد في اليوم الأخير، وهو ما لم يعبِّر عنه كتاب المبادئ بنفس الوضوح الذي عبَّر به القديس أثناسيوس، والذي رفض أزلية الخليقة بتأكيد خلقتها من لا شيء، مؤكداً أن بقاء العالم هو عمل الرحمة والصلاح الإلهي.

لكن الإنسان كمخلوق ينتمي إلى البيئة فقط، لا يصلح للتدين بأي دين، وبشكل خاص اليهودية – المسيحية – الإسلام؛ لأنه إذا كانت البيئة هي التي تحدد أصل الإنسان وغاية وجوده ومصيره بالعودة إلى عناصر البيئة، يكون الإنسان هنا مرجعاً لذاته. وعكس هذا يكون الله هو كل شيء، ومرجع الإنسان هو الله وحده، وبالتالي يلغي الله وجود الإنسان، وهي ذات الفكرة التي سقط فيها د. يوسف زيدان دون أن يدري في كتاب "اللاهوت العربي"؛ إذ وقع بين اختيارين: أن الإنسان لا يريد مخلصاً "من فوق من السماء"، وبذلك أنكر التنزيل واللوح المحفوظ الأزلي (القرآن السابق على خلق الإنسان). والاختيار الثاني هو مرجعية الشريعة الإلهية التي تفقد دورها الإلهي عندما تخضع لأحكام العقل والتقنين؛ لأن كل فقيه هو ثمرة زمانه، ولا يمكن أن يكون أي إنسان إلَّا ثمرةً لعصره وما قبل عصره. وتفريعاً على ذلك، أخشى أن ندخل إلى أصولية آبائية بأن نلغي كياننا ومعرفتنا لأن واحد من الآباء القديسين قال هذا والأب الآخر قال

---

(١) لم يقل دارون إن الإنسان تطور من القرد بل القرد والإنسان معاً من أصل واحد. والذين يحاربون دارون يحاربون شبحاً من الماضي. الطريق إلى الكلية الملكية باسم دارون كانت تبعد عن مكان إقامتي في كامبردج ٥ دقائق وكنت أشاهد المجموعات التي حملها معه دارون لكي يؤكد بها نظريته في كل زيارة إلى كلية دارون الملكية في Silver Street.

ذاك، ومن أجل ذلك جاء علماء الآباء في جامعات اليونان باسم جديد هو علم الآباء الجديد، وإن كنت أفضِّل الاسم الإنجليزي السائد *Neo Patristic Synthesis* وقد تزعَّم هذا الاتجاه زيزولاس وياناراس ونيللوس (الذي مات مبكراً قبل أن يكمل رسالته).

لكن ثنائية الله والإنسان تحاصر الإنسان من اتجاهات أربعة:

الاتجاه الأول: وفيه يواجه الإنسان ذاته فقط، سواء كان ذلك من خلال فكر ديني، أو في مدرسة من مدارس الإلحاد. الوجود الإنساني المنغلق الذي لا يسمح للإنسان بأن يعلو *Tranced* على كيانه، وهو وجود طبيعي *Natural* من الطبيعة إلى الطبيعة يسمي **الكون** *Cosmos* وهي كلمة تستدعي وجود الخالق، بينما **الطبيعة** كلمة تستدعي القوانين والتطور، وتحذف وجود الخالق بشكل غير مباشر.

الثنائية هنا هي ثنائية كيان إلهي، وآخر إنساني بلا لقاء.

الاتجاه الثاني: وهو أكثر تسامحاً، وهو يقول إن الله في السماء والبشر على الأرض، فالله خلق الإنسان ورتَّب كل شيء بالشرائع الأخلاقية، وأنزل الكتب على الأنبياء، لكن بين الله والإنسان "بونٌ شاسع" تفصل فيه الشرائع، وأقصى ما يصل إليه الإنسان هو أن يكون إنساناً فاضلاً ذو أخلاق جيدة حددها له الله، ورسم لها العقاب الذي أعده لمن يتجاوزها. عَرِفَ هذه المدرسة قدماء مصر (الفراعنة)، ونصادف هذه المدرسة في أدبيات اسلامية — مسيحية عرفتها المسيحية العربية أولاً، ودخلت أدبيات الإسلام عن طريق طقوس الدفن والجنازات وتشييد المقابر وتخليد ذكرى الموتى الذي يذكر عنه القديس أثناسيوس في الرسالة إلى الوثنيين أن مرثاة أوزيريس كانت تُرتَّل في أيامه (ربما في الاسكندرية)، وهو ما يتردد صداه لدينا عندما نحتفل بمآثر الراحلين حتى من الطغاة والكذبة تقال بالكيل الكبير بعد رحيل هؤلاء ..

أن أكتب عن المصريات، يعني أنني وجدت نفسي استعد لقبول قرار حرمان ثالث ورابع؛ لأن ما نراه اليوم هو عودة إلى فرعونية تحت ستار الأرثوذكسية، بينما لا تؤمن به الأرثوذكسية في عقائدها، بل وحتى طقوسها التي لم تُفهَم بعد إلَّا بأنها الوجه المنظور للسر، سر المتجسد مُوحِّد السماء والأرض، والكنيسة والكون، والمادة والروح، ومعلن بقيامته "مخاض الخليقة" (رو ٨: ٢٢)، وهو الموضوع الغائب من تعليم الشيع

الإنجيلية والذي سقط فيه بعض الأرثوذكس[١]؛ لأن مخاض الخليقة يطرح علينا بقوة ضرورة إمساك تجديد الخليقة في بدايتها في يسوع المسيح، ونهايتها المستعلَنة في حياة الرب نفسه الذي أظهر نهاية دهور (عصور) التجديد بالقيامة والصعود والمجيء الثاني معلناً به مجده الذي سبق وأعلنه على جبل طابور.

وهكذا – سياسياً – يقول – الأخ ماجد – إن الشموع والبخور والمذابح "مصيبة كبرى"، وطرح علينا ادعاء العصر الوسيط من جديد، العصر الوسيط الذي رفض أن يكون الإنسان نفسه ذبيحة (رو ١٢: ١) وظن أن الخدمة العقلية – حسب ترجمة بيروت "العبادة العقلية" – هي الوعظ والتعليم، في حين أنها هي خدمة اللوغوس نفسه التي كرز بها الرب، أي افتقاد المرضى والأيتام والأرامل التي وصفها رسول يسوع المسيح القديس يعقوب بـ (الديانة النقية) (يع ١: ٢٦ – ٢٧) واعتبرها الرب يسوع مقياس المحبة في يوم الدينونة العظيم.

وإجابة الأخ يسري عن تجلي المادة هي عين الصواب، ويضاف إليها أننا لا نحرص على القديم لأنه أصيل، فليس كل قديم أصيل؛ لأنه ما أكثر الأشياء القديمة التي ثبت فشلها؛ لأنها أتت بالجمود والتخلف أو بالعجز عن ملاحقة ما حدث من تطور في حياة الإنسان.

هذه الثنائية تفشل في أن ترى المذبح المصنوع من أي مادة، علامةُ ذبحٍ تقف شامخةً شموخ الديمومة، تظل في هياكل الكنائس مئات السنين تحمل أسماء الشهداء وأسماء الرسل؛ لأن هؤلاء هم قربان المسيح لله الآب وللعالم والإنسانية، وهو قربانٌ محفوزٌ، ليس في تاريخ على صفحات الكتب كفكرة، بل في حضور المسيح الحي في عالمنا الذي يحتاج إلى ذبائح حية يومية تشهد للخلاص والمحبة شهادة لحم ودم قام بها غيرنا، ولا نسمح بأن تدخل بطون الكتب أو تصبح ترتيلة تُقال تسبَحُ في عالم الكلام والنغم، بل تجد لها التعبير المادي؛ لأن صانعها يسوع المسيح هو خالق المادة، وهو مؤسِّس الكون المنظور وراعيه الصالح، وهو الذي يقوده إلى يوم الإعتاق من "البُطل" الذي فُرِضَ عليه عنوةً بسبب فشل اختيار آدم لمشروع الصورة الإلهية، وسقوطه في مشروع مزيَّفٍ هو اختيار

---

(١) الذين ينتمون طقوسياً إلى الأرثوذكسية، دون أن ينتموا إليها عقائدياً ونسكياً.

ذاتي لذاته، وهو حالة الوجود المنغلق الذي عندما احتاج الإنسان فيه إلى الله؛ اخترع العبادة الوثنية، كما شرح القديس اثناسيوس في الفصول الثلاثة الأولى من كتابه الرسالة إلى الوثنيين.

المصيبة الأكبر هي تحول المسيحية إلى نشاط عقلي رُسِمَ بدقةٍ بالغة في التراتيل والعظات، تعيد الإنسان إلى حياته العقلية – هذا جيد ونافع – ولكنه يتوقف عند حدود المعرفة العقلية. هنا – في مجال المعرفة – المحيط الأطلنطي أصغر بكثير من عقل أي إنسان استوعب قدراته العقلية. وبحيرة راكدة المياه، هي أكبر بكثير من إنسان سلَّم عقله تسليماً كاملاً لما يُنكر، فقد وُصِفَ الفكر بالكفر حسب مقولة الراحل الكريم د. حامد نصر أبو زيد، والفرق بين الكلمتين شاسع مع فرق طفيف في ترتيب الحروف. والسائدُ الآن على الساحة السياسية، تكفير مَن تختلف معهم، وعلى الساحة المسيحية يسود الاتهام بالهرطقة، وهو ذات الاتهام وإن كانت المفردات مختلفة هذه المرة.

العلامة لا تجلب الحضور لأن هذا شائعٌ في السحر والشعوذة. ورحم الله الزميل دولور رفلة، أول قبطي أعرفه كتب بحثاً عن السحر، وهو طالب في الكلية الإكليريكية، في القسم النهاري، السنة الثالثة، قرأه د. وهيب عطا الله المشجِّع الأول على البحث – كما قال – "قرأته بلهفة"، ولكن مات البحث والباحث بعد ذلك بقليل، ورحل أستاذ الباحثين بعد أن حوصر في الدور الثالث من مبنى الإكليريكية، ومُنِع من الخدمة، وتهجَّم عليه من لا يُجرؤ على البحث .. أليست طقوس السحر كما قال ترتليان تقليد طقوس (ترتيب الكنيسة) بخداع شيطاني؛ لكي تصيب الإدراك بالعمى الروحي. ألم نسمع عن دلال المزامير واستخدام المزامير في السحر، بينما استخدام المزامير في طرد الأرواح الشريرة لا سيما مزمور ٢٧، ٩١ معروف حتى في زمن ترتليان وما قبله، فكيف يتحول الذي جاء به الروح القدس إلى سلاحٍ في يد الشيطان؟! الذين درسوا السحر قالوا بصوت واحد إن المزمور يقرأ معكوساً، وهنا لا أريد أن أقدم أمثلة لأنني لا أخدم الشيطان، لكن الشيطان قدَّم لنا مثلاً معروفاً في الانثروبولوجيا، وهو قراءة الأسماء الإلهية معكوسة، والمثال المسموح به مشهور عندنا هو: "ع ي س ى – عيسى" وهي قراءة معكوسة للاسم الآرامي الشائع "يسوع – ي س و ع"، وقراءة الاسم معكوساً هي قراءة الساحر.

و"يسوع" عبرانية تعني المخلِّص، أما "عيسى"، فهى بلا معنى، تفقد معناها لأن شخص يسوع وعمله وكيانه وحقيقته يعبِّر عنه الاسم: "يدعى يسوع لأنه يخلِّص شعبه من خطاياهم"، وهكذا – بالقراءة المعكوسة – يضيع الخلاص الذي حُفِظَ في الاسم الذي لا يوجد اسم آخر تحت السماء به ينبغي أن نخلص (أع ٤: ١٢).

لكن الحضور المتجسد للرأس الذي منه كل أعضاء جسده (كولو ٢: ١٩) هو الذي تشير إليه العلامة. والعلامة هي جزء من الصلوات ومن الإيمان نفسه ومن الشركة في ذاك الذي له علامات إنسانية، وهو "المريض والسجين والعريان والجائع"، هؤلاء هم أيقونات يسوع الحية التي لا نريد أن نراها، بينما رسم صورة أيقونة يسوع هي دعوة لتجديد البصيرة لكي ترى أن اللون والخشب يحملان ملامح إنسانية، وأننا بالخطية ننسى إنسانيتنا التي لها وجه مشرق في يسوع وحده (لوقا ٢: ٥٢)، والوجه المصلوب والمنكسر في الانسانية "السجين" وكل زملاء المنكسرين والمرضى والأرامل. الوجه المشرق بالحياة في عالم توشك الظلمة أن تغيب فيه، ولكن الذي يظن أن إشعال شمعة هو علامة نور، ليست هي النور، بل النور الحقيقي جاء إلى العالم، ومع ذلك يظل حضوره المتجسد سراً رآه الذين لبسوا ملابس الليتورجية في المذابح الحية من عظام ولحم البشر وأن أعظم الملابس هي ما يُقدَّم للفقير، فلم يسقطوا في ثنائية الله والكون، بل لأن المتجسد جاء؛ "جعل الإثنين واحداً"، جمع الكل تحت رأس واحد ما في السماء وما على الأرض (أفسس ١: ١٠).

فقد ملأ العالم كله بحضوره الإلهي المتجسد؛ لأنه ليس بكر البشر فقط، بل بكر كل خليقة (كو ١: ١٥). واسأل نفسك: ماذا سمعت عن هذا العمل الكوني ليسوع ملك الكون وليس ملك الكنيسة فقط؟ وقبل أن تقتطع هذه العبارة لكي تنضم إلى فئة تسعى إلى هدم الكنيسة القبطية من الداخل تحت شعار "كلنا يسوع"، إحسب في حساب دقيق:

* هل الصليب هو موتٌ عن الخطية (رو ٦: ٢)، أم أنك تعيش نصف الحقيقة، وهي أن يسوع مات عنك فقط؟ هذا حق، إذن كيف تحول موت يسوع إلى موتك أنت معه في المعمودية، وكيف تحول ذلك الموت السري، وهو أصلاً من محتويات

(رو ٦: ١ – ٨، الموت معه والقيامة معه)، فكيف تحولت المعمودية إلى رمز؟ ومتى تحول الموت إلى رمز؟ ما هو المرموز إليه هنا، وكيف صُلِبَ بولس مع يسوع بعد موت يسوع بعدة سنوات "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا" وأضاف بل "المسيح يحيا في" (غلا ٢: ٢٠)؟

* لست أدري بأي قدرة تحوَّلت كلمة **علامة** إلى **آية** في إنجيل القديس يوحنا "هذه هي أول علامات *Signs* التي فعلها يسوع"، فأعلن بها مجده؛ لأنه الخالق اللوغوس حوَّل الماء خمراً (يوحنا ٢: ١١)، ولم يحمر وجه الماء خجلاً، فصار مثل الخمر حسب وعظة أحد الإنجيليين المشهورين رحل عن هذه الدنيا، وهو كلام نترك للقارئ التعليق عليه.

نحن نتكلم عن علامات الملكوت، وليس "الآيات" والخوارق؛ لأن الملكوت هنا على الأرض، وهذه هي علامات الملكوت. أما المعجزات فقد صُنِّفَت – في العصر الوسيط – ضمن ما هو فوق القانون الطبيعي، في حين أن شفاء المرضى وقيامة الأموات هي من علامات الحياة الجديدة الحاضرة الآن في يسوع رب الحياة الذي له أيضاً السلطان على الهاوية بسبب قوة القيامة وغلبة الجحيم.

المصيبة الأكبر هي بحر الفكر غير المنضبط بعلامات الحضور الإلهي في الكون كله في المزامير، ونسيان أن "السموات تحدِّث بمجد الله"، ونسيان أن المجد هو إشراقٌ حقيقيٌّ، وليس مجرد فكرة تُسمَع في عظة، وعبارة قد تؤثر في الشعور والإدراك. هذا جيد، ولكن لأن الحضور الإلهي يشرق دائماً رغم عتمة الفكر تأتي العلامات، لا لكي تذكِّر العقل الغائب عن الوعي، إذا ما دخل هذا العقل بحر الفكر، بل لتضع علامة ليس لها علاقة بفكر الإنسان، بل هي خارج الفكر مثل البخور – علامة الصليب – المياه – الشموع – الأيقونات، علامات ثابتة لا يمكن للعقل أن يلعب بها أو يعيد تكوينها؛ لأنها غير قابلة للتكوين، بل تتحدى التجديد الذي يراه الفكر في فكرة جديدة مثيرة، إلى تجديد الوعي بالحضور الإلهي الذي هو فوق كل فكر.

وعبر تاريخ ٤٠٠ سنة من حركة الإصلاح، غابت الحياة النسكية، ثم عادت إلى الكنائس اللوثرية والإنجليكانية في نهاية القرن التاسع عشر، وإن وظلت بعيدة عن الحياة

الكنسية العامة، ولذلك تدفقت البوذية — الهندوكية على أمريكا الشمالية معقل حركة الإرساليات لكي تملأ فراغ هذا الغياب بالتمويل المالي والبشري، فنشر البوذيون ما يزيد على ٣ آلاف – حسب الإحصاء الرسمي – من مراكز للتأمل والعبادة في وسط أمريكا. وأدرك المهاجرون من إيران وتركيا الأهمية الإنسانية لحركة التصوف الإسلامي، ونشر أتباع جلال الدين الرومي أكثر من ٥٠ ألف مركز في أمريكا لنشر تصوف جلال الدين الرومي الذي ترجمه المستشرق الإنجليزي نيكلسون أستاذ العربية والفارسية سابقاً بجامعة كامبريدج في مؤلفه المشهور "المثنوي"، وقد صدر منه على ما أعرف جزئين بالعربية، وتوقفت حركة النشر لأن الكتاب ٦ أجزاء بالإنجليزية، وهو أعظم ما كتبه مسلم عن المحبة الإلهية بعد أن درس مار إسحق السرياني، ويوحنا سابا الملقب عندنا باسم "الشيخ الروحاني".

ولا يوجد لغز وراء اختفاء الاتحاد بالمسيح في التعليم الإنجيلي القديم، سوى أن كل ما يحتاجه الإنسان قد فعله المسيح، فهو قد دفع الثمن، وأعطى البراءة للإنسان، ودفع الدين، وما على الإنسان إلَّا العودة إلى حَدَثٍ تاريخي حَدَثَ يوم الجمعة على الجلجثة. وبالتالي صار الصليب ليس أكثر من حدثٍ تاريخيٍّ يحياه الإنسان في الذاكرة، فكيف يتفق ذلك مع التعليم بالاتحاد بالمسيح، وما لزوم هذا التعليم أصلاً إذا اقتصر الأمر على التذكر العقلي؟ ولست أظن أن بعض أقباط كنيسة مصر من الأرثوذكس غرباء على هذا الاتجاه العقلاني، بل هم أحياء وأحباء له يدافعون عنه، وهم لذلك انقسموا إلى الفريق الذي يحاول تدمير الأب متى المسكين الذي يعاني اليوم من مقارنة ظالمة مع توما الإكويني رسول الفكر الفلسفي الأرسطوطالي، بينما متى المسكين راهبٌ شرب من مياه الحياة النسكية ورأى في صفاء بعض ينابيع الفكر المسيحي العالمي عند الروس واليونان والكاثوليك وبعض الإنجليكان والإنجيليين ما هو متناغم مع التعليم، ومع المنهج الروحي الأصيل الذي كسر الأب متى المسكين سلاسل العصر الوسيط وأفلت منها؛ لأنه عاد إلى مناهل الأرثوذكسية السابقة على عصر الانحطاط الروحي الذي جاء بالانقسامات التي بدأت فعلاً من سنة ٤٣١ وتبعها ٤٥١ ثم امتد خط التقسيم إلى الغرب نفسه.

إن طوفان الفكر تحدُّ من سلطانه علامات الملكوت. فالمذبح يبقى كما هو مهما تغيَّر الفكر، استقام أم انحرف أم انجرف. ولأن من هذه العلامات يحرك الروح القدس القلوب؛ وُلِدَ عظماء رجال الصلاة في كنائس لها مذابح وبها أيقونات ويشتعل فيها الشموع ويرتفع البخور؛ لأن الكنيسة التي تبنى بالطوب، هي "بيت الملائكة"، ولأن الآتين إلى الصلاة يأتي كل مصلٍّ منهم بملاكه الحارس – وهو تعليم أصبح غير معروف الآن – لكي تلتأم الكنيسة في تسبيح أرضي – سمائي بقيادة الرأس الواحد.

الاتجاه الثالث: وهذا الاتجاه طُرِحَ على الساحة بعنفٍ شديد بعد هزيمة ١٩٦٧، ومؤداه أن الله تخلى عن مصر لأنها تركت الشريعة، بينما الثابت أن الهزيمة حدثت نتيجة عدم التقدم العسكري التكنولوجي، حسب شهادة الأستاذ هيكل في كتابه خريف الغضب، وحسبما نشرت مراكز الأبحاث في لندن ونيويورك.

كنت طالباً في جامعة كامبريدج، وقد انتهيت من الماجستير *M. A.* عندما أغلقت مصر مضايق ثيران وهي مياه إقليمية مصرية في وجه الملاحة الإسرائيلية. واشتعلت الحرب ولم نسمع عن غارة واحدة لسلاح الطيران المصري على إسرائيل، في الوقت الذي كانت مصر تعلن فيه عن سقوط عدد من الطائرات الإسرائيلية، ثم عادت إذاعة القاهرة تقول إن بريطانيا تحارب إلى جوار إسرائيل، وإن حرب ١٩٥٦ هي ذاتها حرب ١٩٦٧ مع غياب فرنسي ووجود مشبوه للإسطول السادس .. وقصص كثيرة.

منذ اللحظة الأولى بات واضحاً أن عودة القوات المصرية إلى خط الدفاع الثاني بعد ثان وثالث يوم للمعركة وسقوط مدينة بورسعيد بعد قتال بطولي للجيش والشعب، أن القضية لا علاقة لها بالشريعة الاسلامية أو المسيحية أو اليهودية، وأن الحقيقة الغائبة هي انعدام الخبرة العسكرية، وانعدام التفوق العلمي؛ إذ لم يكن لدينا بالمرة خطة لخوض حرب مع إسرائيل.

الاتجاه الثالث هذا يضع الله قيداً مطلقاً على حرية الإنسان وعلى الفكر، وهو اتجاه إلحادي بحت رغم أنه يتكلم عن الله ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة. لأنه يتكلم عن إله حقبة زمانية غابت منذ عدة قرون. إلهٌ تكلم منذ عدة سنوات وصمت. هو قابعٌ على عرشه، بينما الحياة الإنسانية تتقدم بقوة العقل الذي لا يعترف أصحاب هذا الاتجاه

بوجوده إلَّا كعقل عبدٍ لا يجب أن يفكر، بل فقط يخضع. وقبل أن تتهم أياً من المسلمين، فالاتهام يطال عدد كبير من المسيحيين أيضاً .. وذلك عندما نسمع عن الله الذي عمل أيام انطونيوس والبابا كيرلس السادس، بينما تخلى عنا تماماً طوال عصر الرئيس حسني مبارك، الله الغائب في زمان جميلٍ مضى. ولم نعد نسأل عن أخطاء القيادة؛ لأن القيادة الكنسية "تنزيلٌ من رب العالمين" ولها الحق في أن تمنع وأن تمنح حق التظاهر، بل وأن تختزل كل أقباط مصر في حفنة من قياداتٍ تحمل بعض الألقاب التي جادت بها على نفسها، دون أن تمارس العمل السياسي مطلقاً، وهكذا تحولت الكنيسة إلى مؤسسة سياسية. وهنا بالذات يبرز دور الشريعة في الإسلام السياسي الذي غاب عنه الكهنوت المنظور، وحلَّ محله شيوخٌ أكثر سلطاناً من بابا روما، يُصدرون الفتاوى بقتل من يعارضهم، يقابلهم على الجانب الآخر أساقفة يُصدرون الحرم على مَن يسأل سؤالاً. والفرق ضئيل؛ لأن مَن يصدر فتوى بالقتل هو صادق فيما يقول؛ لأنه لا يقبل الاعتراض على ما لديه من نصوص، أمَّا مَن يحرِّم السماء على الكاثوليك والإنجيليين فهو كاذب؛ لأنه أصلاً لا يملك حقاً، بل انتزع حق الديان العادل.

والحديث – في هذا الاتجاه – طويل؛ لأن الله من فوق، والإنسان من تحت يعمل ما يشاء، سواء من كان في يده كتابٌ يمنحه سيف القتل، أو من اقتنص – دون وجه حق – سيف الحرمان، والله ترك له الحرية، فهو ليس على الأرض، ولم يتجسد، والذي يُقطع ليس عضواً في جسد ابنه!!!

الاتجاه الرابع للثنائية: هو اكتشاف الرسالة من خلال النصوص، وحشد الكلمات. وقد وُلِد هذا الاتجاه في براءة تامة على يد علماء اللاهوت المدرسي *Scholastic* للدفاع عن وشرح المسيحية في الغرب. وفيه يقف المسيحي على أرض التاريخ – الكتب – النصوص؛ لكي يقرر ما هو الحق وما هو الباطل. ومنه وُلِدت مدرسة عصر الإصلاح، ومدارس نقد الكتاب المقدس بأنواعها.

الأساس الذي استند إليه الخليفة عمر بن الخطاب في عدم العمل "بحد السرقة" في عام المجاعة هو أن "النص حمالٌ لأوجه". ومن مدارس الفقه الإسلامي دخلت هذه العبارة إلى بعض مدارس "فقه مسيحي"، ووُلِدت مدارس علوم وتفسير الكتاب المقدس،

ووضع بعض علماء العصر الوسيط مقدمات في تفسير الكتاب المقدس، والتفرقة بين أنواع التفسير، أشهرها مؤلفات الأسقف بطرس السدمنتي وغيره، ووُلِدَ أيضاً تفسير الكتاب المقدس كتابياً *Biblical* ومنه نشأ اللاهوت الكتابي *Biblical Theology* ....إلخ والموقف يذكرني بما حدث من انفلات أمني في مصر في أعقاب ثورة ٢٥ يناير. والمشكلة أن المفسر ليس لديه خريطة طريق، ولا بوصلة إلَّا – في أكثر الحالات – الجدل الأكاديمي السائد، والأبحاث التي سبقته، ثم رأيه الذي انتهى إليه. وقد حضرت مناقشة رسالة دكتوراه، قدم الطالب البريطاني رسالته بعنوان المسيح يهوه إله العهد الجديد، وقيل له إنه سيرسب؛ لأن هذا يضايق الأساتذة اليهود، ولأن اسم يهوه غير موجود في العهد الجديد، ودار البحث عن معنى اسم الرب المأخوذ من اقتباسات عديدة من العهد القديم – الترجمة السبعينية التي استخدمت كلمة *Kyrios* للرب إله العهد القديم، وأن ذات هذه النصوص الخاصة بالله استُخدمت للرب *Kyrios* في العهد الجديد، فهو ليس مجرد سيد، بل الرب، وحمى النقاش، ولكن فاز الطالب بالنجاح لأنه عاد إلى أهم ما يسبق كل نص، وهو شخص المتكلم، وأن الحدث الذي جعله يتكلم، وما يتكلم به وعنه لم يكن أمراً بشرياً.

عادت بي الذاكرة إلى هذه المناسبة وأنا أقرأ كلمات أخ مصري فاضل ربما لم يدرس العصر الوسيط، يصف فيها شرح **العلامة** على أنه "*دفاع مصيبة أكثر ضرراً من لو قلت رمزاً لأن الرمز وإن كان غير مقبول* (لم يقل عند من من الناس وفي أي مذهب) *أيضاً لأنه تغييب لله*". وهنا نسأل: عندما وضع بولس الرسول هاجر وسارة، الأولى رمزاً لليهود، والثانية، أي سارة أم اسحق رمزاً للمؤمنين (غلا ٤: ٢١–٣١)، وهي من مقاطع العهد الجديد التي تضايق اليهود جداً؛ لأن سارة مصرية ولم تكن عبرانية، ولكن العاقر، وهي الأمم ولدت أكثر من التي لها زوج، هي كنيسة الأمم أورشليم السماوية؛ لأن أورشليم الأرضية مستعبدة مع بنيها، إذا كان الأمر هكذا، فهل يجوز أن نقول إن استخدم كلمة **رمز** هنا كان حسب قول كاتب المقال هو تغييب لله؟ ثم استطرد ليقول إنني اعتبر "الحجر والشمع والبخور علامة حضوره فهذه هي المصيبة بعينها"، هكذا بسطر واحد شطب التاريخ السابق كله، أليس لأن الإنسان نفسه ذبيحة، يقدِّم عمله،

وتسبيحه كل يوم هو ذبيحة، كما أن الطعام والمال والمنازل .. الخ هي تقدمة ذبائح روحية لله، أم نقول للمسيح أنت مسكين وعريان وسوف نكتفي بالصلاة عليك يوم تموت من الجوع؟

عندما سمعت خطاباً للرئيس محمد مرسي يقول فيه إنه سوف يحل مشاكل مصر في ١٠٠ يوم أشفقت كثيراً عليه وعلى كل الذين يعملون معه؛ لأن الدولة المصرية كانت تعاني مراحل انهيار داخلي حُذِّر منه الرئيس السابق، ولكنه لم يكن يسمع. على سبيل المثال برنامج تحديد النسل، تحول إلى برنامج تنظيم الأسرة، وقالوا إن تحديد النسل حرام، وضاع الاثنين، ولم نسأل كيف يمكن أن نحيا بسكان يتوالدون بمعدل مليون كل سنة حتى وصلنا إلى ما بين ٩٠ أو ٨٥ مليون (طبعاً هناك ٥ مليون غائبون من بعض الإحصائيات وهو الفرق بين ٩٠ و٨٥ وهو أكثر من ثلاثة أرباع سكان إسرائيل) .. من الذي سيقدم القوت لهؤلاء؟ وتنشر الصحافة صور القاهرة كما كانت منذ ٨٠ أو ٥٠ سنة ولم تقل إن تعداد سكان القاهرة كان لا يتعدى ٥ مليون، والآن يزيد على ٢٠ مليون، ما علاقة هذا بالمصيبة التي حددها الأخ ماجد، وهي تغييب الله، وإن الله لا يسكن في هياكل مصنوعة باليد، وهو هنا البيت القديم، هيكل سليمان، المكان الوحيد لسكنى الله. أما في العهد الجديد، فإن الله يسكن في هيكل ترابي مصنوع أولاً بإرادة الرجل والمرأة أي ثمرة الزواج، ولكنه يتحول إلى هيكل للروح القدس في انتظار ذلك التحول الأخير الذي سيجي مع قيامتنا.

الخطاب السياسي إعلامي ورقمي يهدف إلى الإثارة والحشد وجمع الأتباع، ولكن تحولنا الداخلي ليس عملاً إعلامياً يُبحَث، بل حقيقة اختبارية مثالها الواضح ليس الخطاب، مهما كان نوعه، بل شخص يسوع المسيح الذي جاء لكي يحول القديم إلى جديد.

وكما عشنا تحت حكم إعلامي يتدرج بنا من التفاؤل الذي لا أساس له في واقع الـ ١٠٠ يوم، وصولاً إلى أن كل ما سبق هو حكم فاسد، هكذا ليس لدينا مانع من أن نأخذ سطراً من هنا وسطراً من هناك في ثورة غضب ومن أجل حشد الأتباع، نقتبس كلمات العهد القديم: "لا يكن لك آلهة أخرى أمامي"، أو كلمات أخرى قيلت في

مناسبات تعدِّي العهد بين الله وإسرائيل لكي نجعل من هذه الكلمات دليلاً على نفي مَا وُهِبَ لنا في يسوع المسيح. وخطاب اسطفانوس الشهيد في أعمال ٧ ليس ضد التجسد ولا هو ضد بناء الكنائس، ولم يكن في أي عصر من العصور خطاباً ضد ليتورجية الكنيسة، بل هو ضد الشعب العنيد الذي تمسَّك بسكنى الله في هيكل سليمان ورفض المتجسد الذي سكن في اللحم والدم، والذي كما يقول مارافرام هو "الثوب البشري الذي نسجته مريم" لأن التجسد أعطى للإنسان أن يقدم ثمار جسده من اعمال وزواج وزراعة وصدقة لله الحاضر، وصارت هذه كلها علامات محبة الانسان الحقيقية لأننا لا نحب باللسان ولا بالكلام ولكن بالعمل والحق.

المدارس التي قامت على النصوص تهدم التاريخ، ولا ترضى بعمل إنساني يعبِّر عن الله وعن حقيقة حضوره في العالم.

لقد توقفت عند عبارة الأخ ماجد غطاس: "*أما أن اعتبر الشمعة والمذبح علامة حضوره أكثر انحرافاً*". وإذا كان تحديد الانحراف يجب أن يستند على مرجعية، فهل النور يُعد انحرافاً إذا كان علامة إشراق؟ وهل المذبح، وهو يسمى أيضاً بالمائدة انحراف؟ وإذا قال الرب إنه هو "المن السماوي" وأن ما نزل من السماء لم يعطِ القيامة، ولكن كان علامة من علامات صدق الله في خلاص الشعب من الموت، ومن الجوع، فهل كان نزول المن والسلوى هو غياب لله؟ وهل شق البحر الأحمر – وهو هنا رمز لعبور الشعب إلى أرض الحرية – كان غياباً لله وانحراف؟ هل منع الرمز الحضور الإلهي؟

أمَّا العبارة الأخيرة، فقد تكون بريئة إذا كان قصد الكاتب أن الغرض الأساسي من التجسد هو الإنسان، والإنسان هو الإنسانية جمعاء، فهي عبارة صادقة، أمَّا إذا كان غرض الرب من التجسد جمع أفرادٍ حوله لا لخلق جماعة الرب، أي الكنيسة، فهي عبارة غير بريئة، وتُعدُّ دعوةً للتشرذم.

د. جورج حبيب بباوي